Available online:

<http://journal.imla.or.id/index.php/arabi>

Arabi : Journal of Arabic Studies, 3 (2), 2018, 228-239

DOI: <http://dx.doi.org/10.24865/ajas.v3i2.88>

الأصول الفكرية والقضايا المنطقية للتذكير والتأنيث في اللغة العربية

Damhuri, Ratni Bt. H. Bahri

Institut Agama Islam Negeri Sultan Amai Gorontalo, Indonesia

E-mail : damhuri@iaingorontalo.ac.id

Abstract

This article aimed to discuss the theory of mudzakkar and muannats in Arabic. The classification of mudzakkar and muannats is found in most languages, not only in the Smith-Hmit languages family, but also in the Indo-European languages with varying quality and quantity. This linguistic phenomenon is very powerful and is one of the characteristics of the Arabic language. The most popular theory of word grouping into mudzakkar (male) and muannats (females) is a theory seeing a connection and relationship between the word (lafaz) and the meaning (ma'na). In the historical perspective of ancient society, it is also associated with the myths of public belief based on the nature of the world in general consists of mudzakkar and muannats. These theory - in another perspective - especially the ancient society has the power of argument and reason, but in the perspective of modern society has a deadlock of argument and loses its relevance.

Keywords: *mudzakkar, muannats, Arabic language*

Abstrak

Artikel ini bertujuan membahas teori *mudzakkar* dan *muannats* dalam bahasa Arab. Klasifikasi *mudzakkar* dan *muannats* ditemukan pada sebagian besar bahasa, bukan saja dalam rumpun bahasa Smith-Hmit, tetapi juga pada rumpun bahasa Indo-Eropa dengan kualitas dan kuantitas yang beragam. Fenomena kebahasaan seperti ini sangat kental dan merupakan salah satu karakteristik bahasa Arab. Teori paling populer dalam pengelompokan kata menjadi *mudzakkar* dan *muannats* adalah teori yang memandang adanya hubungan antara lafazh dengan makna. Dalam perspektif historis masyarakat kuno, masalah ini dikaitkan dengan mitos-mitos masyarakat dalam memandang alam secara keseluruhan terdiri dari *mudzakkar* dan *muannats*. Teori ini - di satu sisi - dalam perspektif masyarakat kuno memiliki kekuatan argumen, tapi dalam perspektif masyarakat modern memiliki kebuntuan argumen dan kehilangan relevansinya.

Kata Kunci: *mudzakkar, muannats, bahasa Arab*

إنّ قضية التذكير والتأنيث في لغة من لغات العالم عامة وفي اللغة العربية خاصة، تُعدّ من أغمض أبواب النحو، ولها مسائل مشكّلة ومتشعبة. فعلى هذا، اعترف برجستراسر (Bergstrasser)، أحد مستشرق ألماني بأن المستشرقين مهما قد خاضوا في تأملها وبذلوا جهداً كبيراً في دراستها، لم ينجحوا في حلّ مشكلاتها حلاًّ جازماً ولم يصلوا إلى الإجابة عن بعض التساؤلات حولها. وإنما النتيجة من هذه الدراسة هي الاكتفاء بتعدادها والإشارة إلى بعض الطرق المسلوكة لحلها (عبد التواب، ١٩٩٤: ١١٣). ولغموض قضية التذكير والتأنيث في اللغة العربية، فإنّ دراستها تعدّ من أقدم باب النحو والصرف الذي اجتذب اهتماماً واسعاً من قبل علماء اللغة العربية. فقد خصص وأفرد كثير من اللغويين العرب بعض مؤلفاتهم لدراسة ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية، كالفرّاء وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني والمبرد والزجاج وابن الأنباري وابن خالويه وابن جني وغيرهم (ابن الأنباري، ١٩٧٠: ٤٩)، - علاوة على الذين قاموا بالدراسة المتعمقة خلال كتبهم النحوية والصرفية.

إذا لاحظنا ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية من خلال كتب النحو والصرف، فإننا نجد أنّ أكثر الأسماء في اللغة العربية يدخل تحت التقسيم إلى مذكر ومؤنث. وهذا يدل على أنّ الكلّ جنسان، مذكر ومؤنث، لا أكثر ولا أقلّ. وهي قاعدة مقررة في اللغات السامية عامة، ولا نعرف خروج على هذه القاعدة المطردة من أيّ من لغات السامية الأخرى، وحتى ذلك القسم الثالث (الخنثى) تعاملت معه اللغة السامية معاملة المذكر والمؤنث. فكان من المنتظر أن يكون لكل الجنسين أو لأحدهما علامة مميزة خاصة به، يشترك فيها كل الأسماء المنسوبة إليه. ولكن الأمر في الحقيقة على ضد ذلك في كلتا الجهتين (عبد التواب، ١٩٩٤: ١١٣).

ذهب سيبويه وتبعه النحاة بعده إلى أنّ التذكير هو الأصل، ثم تفرع منه التأنيث (سيبويه، ١٩٩٨: ٢٢). ولكن هذه النظرية لا تخلو من انتقاد. إذ يجزم أحد بتذكير كلمة ويجزم آخر بتأنيثها ويجوز ثالث فيها أمرين. كل ذلك يدل على حالة الارتباك والفوضى. بل ذهب بعض المستشرقين إلى أن ليس في اللغة السامية البدائية نوعان من الجنس فحسب، بل فيها غالباً فيها أنواع كثيرة (نور الدين، ١٩٧٧: ١٤٤؛ بروكلمان، ١٩٧٧: ٩٥). فهذه العبارة يدفعنا إلى القيام بالدراسة حول أصول التذكير والتأنيث في اللغة العربية.

الافتراض حول أصول فكرة التذكير والتأنيث في اللغات

لَقَّت الجنس نظر الإنسان الأول، حين عرف الفرق بين الذكر والأنثى، سواء كان في الإنسان أو في الحيوان. وأثر هذه الملاحظة انعكس على لغته (عبد التواب، ١٩٩٤: ٢٥١). إنّ التفرقة البيولوجية بين الذكر والأنثى في المخلوقات المختلفة يستوجب التمييز اللغوي، لأن اللغة أداة التواصل والتعبير (بركات، ١٩٨٨: ٢). ولما كان اللغة انعكاساً للإنسان، ظاهره وباطنه، فقد أثر قضية الجنس فيها تأثيراً شاملاً. ويبدو ذلك جلياً لسيت مقصورة على اللغة العربية فحسب، ولكن في لغات العالم على وجه العموم، رغم من اختلاف بين اللغات في النظرة إلى تنوع كثير من المسميات تحت نوع المذكر والمؤنث أو الخروج عنها. ويظهر ذلك في اللغات السامية وغيرها من اللغات (بركات، ١٩٨٨: ٢).

يبدو أنّ العرب قد استقوا من فكرة ذكورة المخلوقات وأنوثتها فكرة تذكير المسميات وتأنيثها. وقد شملت قضية التأنيث والتذكير في اللغة العربية الأسماء كلها. وهذا يضعنا في التباس إزاء إدراج كثير من الأسماء في المذكرات أو المؤنثات. فكل ما هو موجود في الكون إما مذكر وإما مؤنث. لكننا نجد أنّ هذه الموجودات وهي ما يطلق عليها أسماء تنقسم من حيث المدلول التذكير والتأنيث إلى أقسام. فمنها ما هو مخلوق حيوان، ومنها ما هو نبات، ومنها ما هو جماد. فكل ما يتناسل ويتكاثر من المخلوقات يكون عن طريق الانقسام أو الجمع بين عضوي التذكير والتأنيث، فلسيت هذه قضيتنا (بركات، ١٩٨٨: ٣٩). وإنما هي قضيتنا هي الأسماء التي لا صلة لها بالجنس الحقيقي على وجه الإطلاق. فهناك أشياء أو الأسماء لا يلحظ فيها علامة أو خصائص ما يحملنا إلى إدراجها تحت نوع المذكر أو المؤنث. ورغم ذلك، فإن العرب وغيرها من الأمم تصنف هذه الأسماء إما تحت نوع المذكر أم تحت المؤنث. فيف الجادات مثلاً، كالبحر والحديد والحجر والجبل، منها ما تدخل تحت المذكر ومنها ما هي مؤنث. وكذا في أسماء المعاني، كالكرم والعدل والصبر وغير ذلك. فمثل الأسماء، لا يلحظ فيها علامة ما يحملنا إلى إدراجها تحت المذكر أو المؤنث بالمدلول الحقيقي. وهذه الحقيقة تدل على أنه ليس هناك صلة عقلية بين الاسم وجنسه.

مهما كانت العلاقة العقلية بين الاسم ومسمياتها معدومة من خلال تحليلنا لهذه المسميات، لا ريب أن تفكير الإنسان منذ بداية خلقه في الجنس وتنبيه أثناء التعبير إلى التفرقة بين نوعيه، فطباع الأشياء تقودنا إلى حقيقة أصولها في كثير من قضايا الفكر. فاللغة أداة التواصل والتعبير. ولذلك، لا نستطيع أن نتخلص من وجود الصلة بين مسميات المجتمع اللغوية الأوائل وتصنيفها إلى مذكر ومؤنث وبين معتقداتها الفكرية والعقائدية الخيالية من حيث نشأة الكون واستمرار الحياة الدنيوية عن طريق التزاوج بين الأنثى والمذكر، سواء أكان من الحيوان أو ظواهر طبيعية أخرى (بركات، ١٩٨٨: ١٨ و ٢٨؛ بروكلمان، ١٩٧٧: ٩٥).

وإذا عدنا إلى فكر من نعرفهم من أوائل من خلال أقدم الأعمال الأدبية البشرية، وهي الأساطير الإغريقية، فإننا نجد أنفسنا أمام حقائق عبّرت عن خيال القدماء، وربما لها صلة بتذكير ما هو مذكر وتأنيث ما هو مؤنث. فإن الأساطير الإغريقية ترى أنّ جميع ما في الكون إما مذكراً وإما مؤنثاً. فمن خلال أسطورة "أطلس" حيث تصور لنا أسطورة خاؤس وهو الهيوبي أو اللاتكون، وقد أنجب نوكس (الليل الحالك) وأرييوس (الظلام العميق الدامس)، فأُنجب أروس (إله الحب)، ووجد الليل والنهار، والضوء والظلام، والجمال والنظام، كما وجدت جايا (الأرض) و أورانوس (السماء). والتقت الأنثى (جايا) بالذكر (أورانوس)، فأُنجبا جماعة من المسوخ والكوكلوبيس والتياتن، إلى آخر هذه الأسطورة (بركات، ١٩٨٨: ٥).

ولا يقتصر مثل هذه الأسطورة في المجتمع اليوناني، بل نجد مثل هذه في حياة العرب قبل الإسلام. بدأ الإنسان الأول يرى في كل مظاهر الطبيعة حياة كما يشعر بها في نفسه. رأى النجوم تجري في فلك السماء والأشجار تنمو في الأرض وفوق الجبال، ورأى خروج النار ببطن الشجر الأخضر والحجر الصامت، فوقف حائراً أمام هذه الغرائب كلها. فاكتفت عقلية المتحيرة بأن تحسبها أشخاصاً مثل شخصيته وأن لها حياة مثل حياته. وتوجد هذه الأساطير أيضاً عند الساميين والبابلية (خان، ١٩٣٧: ٤٣-٤٤).

فمن الأسطورة وغيرها كما قدمنا أن ندرك أنّ فكر الأوائل ينبع من خلود الكون والكائنات في الدنيا نتيجة الالتقاء بين الذكر والأنثى. فذكروا من الطبيعة وأنثوا ما يحقق فكرتهم في كيفية الخلود، وما يفسر نشأة الكون والمخلوقات. وأنه يمثل هذه المعتقدات والأفكار في المجتمعات المختلفة في أماكنها وأزمانها كان تأنيث الجمادات وتذكيرها. وكان الاختلاف بين المجتمعات في تأنيث بعضها وتذكير بعضها طبقا لمعتقدات كل مجتمع.

مهما يكن من الأمر، إن صحّ هذه الافتراضات، فهذه الفكرة لم تستطع أن تحلّ التساؤلات حول بعض ظواهر التذكير والتأنيث في اللغة العربية خاصة وفي اللغات عامة. وعندما تحضر الإنسان وابتكروا الأدوات الصناعية، فأوا بعضها من جنس المذكر وبعضها من جنس المؤنث. فطبقوا نظرية التذكير والتأنيث في هذه الأوات. ولكن ما زال هانك تساؤلات، وهي ما أساس تذكير هذه الأدوات وتأنيثها.

جهود العلماء في قضية المذكر والمؤنث في اللغة العربية

ليست هناك قضية لغوية تجذب أنظار العلماء أكثر من اهتمامهم بقضية التذكير والتأنيث في اللغة. يرى برجشتراسر أن السبب من ذلك، لأن قضية التذكير والتأنيث من أغمض أبواب النحو ومسائلها عديدة مشكلة، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا جازما مع صرف الجهد الشديد في ذلك (-). فعلى هذا، عني العرب منذ فجر نهضتهم العلمية بظاهرة المذكر والمؤنث، فدرسوا من نواحيها كافة: النحوية، والصرفية والصوتية والدلالية، وأفردوا لذلك كتبا كثيرة.

أما الكتب أو الرسائل التي أفردوها لهذه الظاهرة حسب تسلسلها الزمني فكما يلي:

١. كتاب المذكر والمؤنث لأبي زكريا بن زياد الفراء (١٤٤-٢٠٧ هـ). ويعدّ هذا الكتاب من أقدم كتاب ألف في هذا الفن (الفراء، ١٩٨٩: ٣٧).
٢. كتاب المذكر والمؤنث لأبي سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي (١٢٢-٢١٦ هـ)، والكتاب لم يصل إلينا.
٣. المذكر والمؤنث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤ هـ)، وهذا لم يصل إلينا.
٤. المذكر والمؤنث لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (١٨٦-٢٤٤ هـ)، والكتاب لم يصل إلينا.
٥. المذكر والمؤنث لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (.... - ٢٥٥ هـ). والكتاب نشره إبراهيم السمرائي لأول مرة في مجلة رسالة الإسلام سنة ١٩٦٩.
٦. المذكر والمؤنث لأبي جعفر أحمد بن عبيد الكوفي (.... - ٢٧٣ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
٧. المذكر والمؤنث لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠-٢٨٥ هـ). وقد نشر الكتاب بتحقيق رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي سنة ١٩٧٠م.
٨. مختصر المذكر والمؤنث لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (.... - ٩٠٣ م). وقد صدر الكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب في القاهرة سنة ١٩٧٢.
٩. المذكر والمؤنث لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (.... - ٣٠٤ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٠. المذكر والمؤنث لأبي جعفر أحمد بن محمد بن يزيد بن رستم الطبري (.... - بعد ٣٠٤ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.

١١. ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس لأبي موسى سليمان بن مُجَّد الحامض (... - ٣٠٥ هـ). والكتاب رسالة صغيرة نشره رمضان عبد التواب في كتيبه التذكير والتأنيث في اللغة مع تحقيق رسالة أبي موسى الحامض في المذكر والمؤنث، وذلك سنة ١٩٦٨ في القاهرة.
١٢. كتاب الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٢٤١ - ٣١١ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٣. المذكر والمؤنث لأبي بكر أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرّج بن شقير (... - ٣١٧ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٤. المذكر والمؤنث لأبي بكر عبد الله بن مُجَّد بن شقير النحوي. والكتاب لم يصل إلينا.
١٥. المذكر والمؤنث لأبي الحسن مُجَّد بن أحمد بن مُجَّد بن بنة كيسان (... - ٣٢٠ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٦. المذكر والمؤنث لأبي بكر بن مُجَّد بن عثمان (... - بعد ٣٢٠ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٧. المذكر والمؤنث لأبي الطيب مُجَّد بن أحمد بن إسحاق الأعربي الوشاء (... - ٣٢٥ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٨. المذكر والمؤنث لأبي الحسين عبد الله بن مُجَّد بن سفيان الخزار (... - ٣٢٥ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
١٩. المذكر والمؤنث لأبي بكر مُجَّد بن القاسم بن بشار الأنباري (٢٧١-٣٢٥ هـ). والكتاب طبع بتحقيق طارق عبد عون الخبائي، كما طبع جزء منه بتحقيق مُجَّد بن عبد الخالك عضيمة، وهو أضخم كتب المذكر والمؤنث وأفضلها على الإطلاق.
٢٠. المذكر والمؤنث لأبي مُجَّد عبد الله بن جعفر بن مُجَّد بن درستويه (٢٥٨-٣٤٧ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
٢١. المذكر والمؤنث لأبي بكر مُجَّد بن الحسن بن يعقوب العطار (٢٦٥-٣٥٤ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
٢٢. المذكر والمؤنث لأبي الحسين سعيد بن إبراهيم بن التستري (... - ٣٦٠ هـ). والكتاب نشر بتحقيق أحمد عبد المجيد هريدي.
٢٣. المذكر والمؤنث لأبي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن خالويه (... - ٣٧٠ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
٢٤. المذكر والمؤنث لأبي الحسن علي بن مُجَّد الشمشاطي العدوي (... - ٣٨٠ هـ). والكتاب لم يصل إلينا.
٢٥. المذكر والمؤنث لأبي الفتح عثمان بن جني (... - ٣٩٢ هـ). وقد نشر الكتاب وحققه طارق نجم عبد الله سنة ١٩٨٥.
٢٦. المذكر والمؤنث لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي (٣٢٩-٣٩٥ هـ). والكتاب نشر بالقاهرة سنة ١٩٦٩ بتحقيق رمضان عبد التواب.
٢٧. المذكر والمؤنث لأبي داود سهل بن مُجَّد النحوي مؤدب سيف الدولة الحمداني. والكتاب لم يصل إلينا.
٢٨. المذكر والمؤنث لأبي الجود القاسم بن مُجَّد العجلاني. والكتاب لم يصل إلينا.
٢٩. البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات عبد الرحمن بن مُجَّد بن عبيد الله الأنباري (٥١٣-٥٧٧ هـ). والكتاب صدر بالقاهرة في السنة ١٩٧٠ بتحقيق رمضان عبد التواب.

٣٠. فتح المنان بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان لأحمد بن أحمد بن مُجَدِّ السجاعي الشافعي البدرابي (....) - ١١٩٧ هـ). والكتاب لم يصل إلينا (يعقوب، ١٩٩٤: ١٥-٤٩).

وفي العصر الحديث، سار العلماء والباحثون على خطي أسلافهم في أفراد مسألة المذكر والمؤنث ببعض مؤلفاتهم، منها:

١. الإمتاع فيما يحتاج تأنيثه إلى سماع للشيخ مُجَدِّ الخضر حسين (١٢٩٣-١٣٧٧ هـ). طبع الكتاب بمطبعة منير بالقاهرة.
 ٢. المبكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر لدى الفقار النقوي. ألفه سنة ١٢٩٧ هـ.
 ٣. الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكره وتأنيثه معا في العربية لمحمد رشاد عبد الظاهر خليفة. طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ هـ.
 ٤. معجم المؤنثات السماعية العربية والدخيلة لحامد صادق قنبي.
 ٥. التأنيث في اللغة العربية للدكتور إبراهيم بركات.
 ٦. معجم المذكر والمؤنث في اللغة العربية لمحمد أحمد قاسم.
 ٧. ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية لإسماعيل أحمد عمارة.
 ٨. المعجم المفصل في المذكر والمؤنث لإميل بديع يعقوب (يعقوب، ١٩٩٤: ٤٩-٥٠).
- إنّ الكتب عن المذكر والمؤنث ليست مقصورة عما ذكرناها، وإنما أكثرها لم يصل إلينا. وبجانب الكتب المختصة لمسائل المذكر والمؤنث، فإن الكلام عن هذه الظاهرة حافل في مباحث كتب النحو. فإن معظم كتب النحو تناول عن هذه الظاهرة. وكلّ يدل على أهمية المذكر والمؤنث في اللغة العربية خاصة واللغات الأخرى عامة، مما فيه من غموض وإشكال.

إدراج الأسماء العربية تحت المذكر والمؤنث وقضاياها

١. نظرية التذكير والتأنيث في المجتمع البدائي

هناك افتراض قدمه الباحثون أنّ الإنسان في بداية وجوده كان يعبر عن التذكير والتأنيث باستخدام الكلمات المستقلة، لا باستخدام الإلحاق الصوتي. فجعل للمذكر كلمة وللمؤنث كلمة أخرى. ويلاحظ هذه الظاهرة من الكلمات الدالة على مدلولات يحتاج إليها الإنسان في بداية خلقه أو في بداية ميلاده. وربما كان ذلك حيث كانت الحاجة إلى التعبير اللغوي تضيق لضيق حاجة الإنسان إلى ما حواليه وضيق حدود عواطفه ومشاعره (بركات: ٢٠).

وتدل مقارنة اللغات السامية مثلاً، على أنّ الساميين القدامى كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة، لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث. ففي اللغة العربية مثلاً، كلمة: "حمار" للمذكر في مقابل "أتان" للمؤنث في الحمير، و"حصان" للمذكر في مقابل "فرس" لأنثى الحصان، و "غلام" للمذكر في مقابل "جارية" لأنثى، و "أب" في مقابل "أم"، وغير ذلك (الأنباري: ٣٧). ونجد ذلك في اللغات الهندوأوروبية. فيف الإنجليزية

مثلاً، *father* (أب) في مقابل *mother* (أم)، و *son* (ابن) في مقابل *daughter* (بنت). وفي أربع عشرة لغة أوروبية، يعبر "أخ" و "أخت" بكلمتين مختلفتين (الأنباري: ٢-٢٢):

لغة	مذكر	مؤنث
الإنجليزية	Brother	Mother
الفرنسية	Fré re	Soeur
الإيطالية	Fratello	Soella
الرومانية	Frata	Sora
الألمانية	Bruder	Schwester
الهولندية	Broer	Zuster
السويدية	Broder	Syster
الدنماركية	Broder	Saster
النرويجية	Bror	Saster
البولندية	Brat	Siostra
التشيكية	Brater	Sestra
الصربو - كرواتية	Brar	Sestra
الهنغارية	Fivé r	Nové r
الفنلندية	Veli	Sisar

وعلى هذه النظرية، فقد استخدم الإنسان الكلمات المستقلة، لا بالإلحاق الصوتي. ونتيجة ذلك أصبح من السهل التمييز بين المذكر والمؤنث. وما دام الإنسان في طوره الأول، فالأشياء من حوله محددة لا تفرع فيها ولا تعقيد. فظرة عجلي في ثقافة الشعوب البدائية، تكشف عن تنوع الأجناس الموجودات تنوعاً طريفاً وفقاً لمعتقداتها الخرافية (عمامرة، ١٩٨٦: ١١). فظاهرة التذكير والتأنيث إذا لا تنفصل عن معتقدات المجتمع ونظرتهم إلى الموجودات.

٢. التذكير والتأنيث بين الحقيقة اللغوية والعلاقة المنطقية

إن اللغة العربية تقسم كلّ الموجودات إلى جنس المذكر والمؤنث. لكننا نجد أنّ هذه الموجودات تنقسم من حيث مدلول التذكير والتأنيث إلى أقسام. منها ما هو مخلوق حيوان، ومنها ما هو نبات، ومنها ما هو جماد لا نحس به حياة ملموسة لدى البشر. ونلاحظ أنّ ما به حياة من الحيوانات والنباتات ويتكاثر عن طريق الذكر والأنثى. ثم نجد ما يقع تحت هذا التقسيم من موجودات يتضمن تكوينه البيولوجي ما يدل على ذكوره أو أنوثته من أعضاء ذكورة أو أنوثة. لكننا نلاحظ كذلك أنه من العسير على الإنسان أن يميز بين أنثى وذكر كثير من الحيوانات، مثل الثعالب والضبع والعقرب وغير ذلك. هذا، إلى جانب ما إذا ذكرنا الجمادات وأدركنا عدم إمكان بيان مذكرها من مؤنثها. فلا مذكر فيها ولا مؤنث على قدر علمنا، إذ لا تناسل ولا تكاثر.

من جانب ما ذكرنا، فإنّ بعض اللغات قد أهملت جانب التذكير والتأنيث تماماً، وبعضها إلى ثلاثة أنواع، تتباين بين التذكير والتأنيث والتحايد. وبعضها قسم الأسماء في أكثر من ذلك، مثل ما حدث في لغة البانتو. كل هذا لا يفوت علينا فكرة انتظام الأسماء كلها في اللغة العربية في المذكرات والمؤنثات دون النظر إلى كونها حية أو جمادا. وهنا يكون الالتباس بين احتساب الاسم الجامد مذكراً أم مؤنثاً. وهذا ما دعا العلماء أن يؤلفوا في المذكر والمؤنث في تصانيفهم العديدة عبر الأجيال اللغوية المتعاقبة، مما يدلّ على التباس كثير من المذكرات والمؤنثات على كثير من التخاطبين (بركانت: ٤١).

إذا ضربنا صفحا عن المذكر والمؤنث الحقيقيين، وأمعنا النظر فيما ذكّر وما أنث مجازيا، متسائلين عن سبب تأنيث المؤنث وتذكير المذكر، فإننا نوقن بأن لا صلة منطقية أو عقلية بين الاسم ودلالته على التذكير والتأنيث. والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية، أنّ من اللغات ما يعدّ بعض الكلمات مؤنثا، وهي مذكّرة في لغات أخرى، والعكس بالعكس، كما نشهد في القائمة الآتية (وبويقر، ٢٠١٢: ٢٤):

رقم	الأسماء	في العربية	في الألمانية
١.	الخمر	مؤنث	مذكر
٢.	السنّ	مؤنث	مذكر
٣.	السوق	مؤنث	مذكر
٤.	الصدر	مذكر	مؤنث
٥.	الأنف	مذكر	مؤنث
٦.	اللسان	مذكر	مؤنث

اعتمادا على ما ذكرنا، فإنّ الجنس يجري على منطق خاص، بمعنى أنّ الجنس اللغوي لا يطابق الجنس في الواقع الطبيعي. فهذا ما يحمل السعرائي إلى الحكم بعدم تطابق الجنس لغويا مع الجنس في الواقع الطبيعي. ويؤكد ذلك عنده أنّ العربية تعامل الكلمات في المفرد معاملة المذكر، بينما تعاملها في حالة الجمع معاملة المؤنث (السعرائي: ٧٩).

ولعل ما سبق من الأمثلة، إلى جانب تقسيم التكثير والتأنيث إلى حقيقي ومجازي، واختلاف اللهجات في الاسم الواحد تذكيرا وتأنيثا، مما جعل برجشترا يقرر أنّ التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلها عديدة ومشكلة، كما قدمنا في المقدمة.

٣. قضية علامات المذكر والمؤنث الحقيقي والمجازي

أ) المذكر والمؤنث وقضية العلامات

إن الكلام عن التذكير والتأنيث لا ينتهي في تصنيف الأسماء إلى مذكر ومؤنث فحسب، بل يتعدى إلى الكلام عن العلامات الفارقة بين هذين الجنسين. ففي بعض اللغات، تفرق بين المذكر والمؤنث بالعلامات الخاصة. وقد حصر اللغويون العرب علامات التأنيث في اللغة العربية في: التاء أو الهاء على الخلاف بينهم، والألف المقصورة، والألف الممدودة مبدلة همزة، والكسرة، والنون، والألف الملحقة بماء الغائبة (الحركة الطويلة بالفتحة)، والإضافات الصوتية (في

بعض اللهجات العربية لبيان حركة التأنيث (سيوييه، ج. ٣: ١٩٩، ٢٣٦، ٣١٨؛ بركات: ٤١). والكلام عن العلامات التأنيث له صلة عن تقسيم المؤنث والمذكر إلى حقيقي ولفظي.

المذكر والمؤنث الحقيقي وهو ما كان مذكراً أو مؤنثاً في الرجل والمرأة وجميع الحيوان بغض النظر عن العلامة اللفظية. ولذلك، لو سميت رجلاً مثلاً بـ "طلحة" (بتاء مربوطة)، لخبرت عنه إذا كان اسمه مذكراً. وبالعكس، لو سميت امرأة أو إناث الحيوانات باسم مذكر، لخبرت عنها وسمها مؤنث. وذلك نحو: امرأة سميتها "جعفر" فتقول: جاءني جعفر، ولا يجوز أن تقول "جاءني جعفر" لأنّ التأنيث حقيقة (المبرد، ١٩٩٤: ٤٣٨). وهذا الضرب من المذكر يعرف قياساً وسماعاً وطباعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن (الصيمري، ج ٢، ١٩٨٦: ٦١٣).

أما المؤنث غير الحقيقي فإنما هو مذكر من حيث اللفظ، وذلك بأن يكون فيه علامة التأنيث من غير أن يكون تحته معنى، وذلك نحو: البشري والذكرى وصحراء وعذراء وغرفة وظلمة. وذلك يكون بالاصطلاح ووضع البشري. والمؤنث غير الحقيقي أضعف في نسبته إلى التأنيث من المؤنث الحقيقي. وذلك لأنه يختص باللفظ دون المدلول، فلا يدل معنى مؤنث تحته.

مما سبق نلاحظ أن ظاهرة المؤنث الحقيقي وغير الحقيقي من حيث العلامة، تبين في القائمة الآتية (بركات، ٤٦ -

(٤٧):

المؤنث غير الحقيقي	المؤنث الحقيقي
قد يكون اسماً يطلق للمذكر، لكنه يتضمن علامة من علامات التأنيث. وهو تأنيث لفظي فقط، حيث اللفظ به علامة التأنيث ولكن المدلول مذكر، مثل: حمزة، وعطية.	قد يكون اسماً يطلق لأنثى من حيث المدلول، وتتضمن صيغته أو بنيتها إحدى علامات التأنيث.
قد يكون اسماً يطلق لجماد أو اسم معنى لا يمكن الحكم بتذكيره أو تأنيثه، وبصيغته البنيوية علامة من علامات التأنيث، مثل: بشري، وبأساء، وعصا.	قد يكون اسماً يطلق لأنثى من حيث المدلول، إلا أنّ لفظه من المذكر، مثل: مدرّسة (مؤنث) من مدرّس (مذكر)
قد يكون اسماً يطلق لجماد أو لاسم معنى، وليس بصيغة البنيوية علامة من علامات التأنيث، مثل: دار، وحرب، ونار.	قد يكون المؤنث الحقيقي اسماً مطلقاً لأنثى وتتضمن بنيته علامة من علامات التأنيث، مثل: امرأة حبلى
قد يكون اسماً دالاً على الجمع وهو جمع تكسير ولا يفرق في دلالاته بين المذكرات والمؤنثات، الجمادات وأسماء المعاني وتتضمن صيغته علامة من علامات التأنيث، مثل: الجرحى، والقتلى.	قد يكون اسماً مطلقاً لأنثى، إلا أنّ لفظه لا يتضمن علامة من علامات التأنيث، وهو خاص بالإناث، مثل: جارية كاعب.
قد يكون اسماً دالاً على الجمع وهو جمع تكسير وصيغته لا تتضمن علامة من علامات التأنيث، مثل: دراهم، ومصابيح.	

ذهب السيوطي وغيره إلى أن المذكر أصل والمؤنث فرع. ولكون المذكر أصل، فإنه لا يحتاج إلى علامة. وأما المؤنث فهو فرع، ولذلك يحتاج إلى علامة تميزه عن الأصول. وأكد أبو المكارم هذه النظرية بعبارة أخرى، أي أن علامة- المذكر العدمية، وعلامية المؤنث وجودية.(السيوطي، ج ٢: ٢٨٢؛ أبو المكارم، ٢٠٠٦: ٢٣٩-٤٠؛ عامر عرابة، ٢٠١٤: ٣٤). ولكن هذه النظرية لا ترفع اللبس على المتعلمين الأعاجم وخاصة المبتدئين في دراسة هذه القضية والفرقة بينهما. لأن القواعد الموجودة في كتب النحو ليست قاعدة جازمة التي تفصل فصلا ثابتا بين المذكر والمؤنث. وإنما هناك بعض الاستثناء مما يؤدي إلى الالتباس عند المتعلمين.

(ب) منهج القدامى في معالجة قضية التذكير والتأنيث

على ضوء ثقافة مجتمعية وتحلياتها عند العرب الأوائل عن مفهوم الأنوثة والذكورة، ابتدأت تقنن تسميات المسميات في الطبيعة وفق هذه الثنائية، سواء في الأشياء أو في المعاني، دون أن تتعداها إلى الجنس الثالث. وعلى هذا، أخذ يعدّ من المؤنث ما له طبع وخصائص أنوثة أو مقارنة لذلك. على حين يعد من المذكر ما له طبع وخصائص ذكورية أو مقارنة لذلك عرفيا.

لا نقصد في هذا الصدد بتقديم عرض مستوفي عن منهج الفقهاء العربية القدامى في معالجة الجنس النحوي، وإنما نعرض أهم ملامحه الأساسية. فمن محاولة القدامى في معالجة قضية التذكير والتأنيث في اللغة العربية وهي القيام بتدوين الأسماء المؤنثات العربية التي تخلو من علامة تأنيث. وتتفاوت عددا من مدونة إلى أخرى. وهذا المنهج يبدو جليا في مدونات العلماء، مثل ما ذهب به ابن الحاجب والرازي، والزجاج، وابن سيده، وأبي بكر بن الأنباري، وجمال الدين بن ملك، وغيرهم (طلافة والأقطش: ٦٨).

وإلى جانب منهج التدوين، ذهب البعض إلى تبويب الأسماء المذكورة والمؤنثة اعتمادا على الحقول الدلالية. فعلى سبيل المثال، أدخلوا أغلب أعضاء البدن المزدوجة في باب المؤنث، وأسماء الحيوانات الوحشية تحت اسم المذكر، وما إلى ذلك. ولكن مهما اجتهدوا في معالجة هذه القضية، فإن في هذه المدونات لم تصل إلى اتفاق ثابت بينهم في النظر إلى ذكورة الأسماء المعينة أو أنوثتها. فهذه الظاهرة بالطبع هي مشكلة أخرى الزائدة على مشكلة اتفاقهم في وضع القاعدة المرجعية في معرفة الأسماء الذكورة والأنوثة. ومهما اتفقوا في تبويب الأسماء في هذه الناحية في بابين، وهما أسماء واجبة التأنيث وأسماء يحوز فيها التأنيث والتذكير، فإن تصنيفهم لهذه الأسماء محل جدل واختلاف. فكلمة "الخمر" مثلا، مؤنثة عند الفراء وابن جني والمبرد والتستري، ومشارك عند الأنباري. والحنوت مؤنثة عند الفراء وابن جني والتستري، ومشارك عند ابن فارس. وكلمة العجز مؤنثة عند ابن فارس والأنباري، ومشارك عند ابن سيده (طلافة والأقطش: ٦٨)، وهلم جرا.

الخلاصة

إنّ ظاهرة المذكر والمؤنث في اللغة عامة واللغة العربية عامة من أوسع أبواب اللغة اهتماما من قبل العلماء، المتقدمين منهم والمتأخرين. وذلك بسبب غموض هذا الباب وصعوبة تحليلها تحليلا شاملا وقاطعا. فإنّ فكرة التذكير والتأنيث في

اللغة نشأت ابتداء من معرفة الإنسان الفرق بين المذكر والمؤنث. والمذكر والمؤنث في المخلوقات التي تتكاثر عن طريق الذكر والأنثى، ليس هذا هو محل الغموض. فإنه يسهل لنا التفريق بينهما. ولكن المشكلة في إدراج معظم الأسماء الجمادات التي لا حياة لها تحت تسمية المذكر أو المؤنث. وافترض العلماء في أسباب تسمية الأسماء الجمادات بالمذكر والمؤنث بأنه راجع إلى رؤية الأسطورية للأقدميين، حيث إنهم يرون أن في جميع المخلوقات حياة، وأن بعضها مذكر وبعضها مؤنث، كما في الأساطير الإغريقية والمصرية القديمة. ولا تنفرد الإغريقية في مثل هذه الأساطير، وبكثرتها موجودة في العرب قبل الإسلام وفي المصرية القديمة.

وعلاوة على ما ذكرنا، فإن قضية التأنيث لا يقتصر على تسمية الجمادات بالمذكر أو المؤنث، بل تتأدى إلى مشكلة العلامة الفارقة بينهما. قد يكون اسماً يطلق لأنثى من حيث المدلول، وتتضمن صيغته أو بنيته إحدى علامات التأنيث. والعكس، قد يكون اسماً يطلق للمذكر، لكنه يتضمن علامة من علامات التأنيث. وهو تأنيث لفظي فقط، حيث اللفظ به علامة التأنيث ولكن المدلول مذكر، مثل: حمزة، وعطية.

وغموض هذه المظهر اللغوي أدى كثير من العلماء إلى دراسة المذكر والمؤنث منذ قديم الزمان، من أمثال الأصمعي وابن سلام وابن إسحاق السكيت والسجستاني والمبرد والأنباري والزجاج والأعربي والأنباري والتستري وابن خالويه وابن جني وغيرهم.

ونستخلص من هذه القضية إلى أنّ دارس اللغة العربية في حاجة إلى معجم شامل يحتوي على تصنيف المذكر والمؤنث بجانب كتب القواعد لتسهيل التعرف والتفريق بين نوعي الكلمة في اللغة العربية من حيث التذكير والتأنيث. فإن جهود العلماء القدامى إنما هي محاولات في تبسيط قضية المذكر والمؤنث في اللغة العربية، ولا يقصدون بها وضع القواعد الثابتة في الجنس النحوي. []

المراجع

- Abd al-Tawwab, Ramadhan. 1994. *Al-Tathawwur al-Nahwi li al-Lughah al-'Arabiyyah*. Kairo: Maktabat al-Khanji.
- Abd al-Tawwab, Ramadhan. 1985. *Al-Madkhal ilā 'Ilm al-Lughah wa Manāhij al-Bahts al-Lughawī*. Kairo: Maktabat al-Khanji.
- Abu al-Makarim, Ali. 2006. *Al-Madkhal Ila Dirāsāt al-Nahw al-'Arabi*. al-Qāhirah: Dār Garīb, 2006.
- Amayirah, Ismail Ahhmad. 1986. *Zhāhirat al-Ta'nīsh fi Bayna al-Lughah al-'Arabiyyat wa al-Lughah al-Sāmiyyah; Dirāsāt Lugawiyyāt Ta'shīliyyah*. Urdun: Markaz al-Kitab al-'Ilmi.
- Barakat, Ibrahim. 1988. *Al-Ta'nīts fi al-Lughah al-'Arabiyyah*. Kairo: Dār al-Wafa.
- Bubuqar, Umar. 2012. "Zhāhirat al-Jins; al-Ta'nīs wa al-Ta'nīts; Muqarabat Lisaniyyah". *Majallah al-Atsar*, edisi 13.
- al-Dhamiri, Abu Muhammad Abdullah bin Ali bin Ishaq. 1986. *Al-Tabshirat wa al-Tabshirah Juz II*. Damaskus: Dār al-Fikr.
- al-Din, Isham Nur. 1977. *Al-Mushthalahh al-Sharf: Mumayyiz al-Tazkir wa al-Ta'nits*. t.tp: Jāmi'at al-Riyadh.

- al-Farra, Zakariya bin Yahya bin Ziyad. 1989. *al-Mudzakkar wa al-Muannats*. Kairo: Dār al-Turats.
- Ibn al-Anbari, Abu al-Barakat. 1970. *Al-Bulghat fī al-Farq Baina al-Mudzakkar wa al-Muannats*. t.tp: Mathba'at Dar al-Kutub.
- Ibn Faris, Abu al-Husain Ahmad. 1969. *Al-Mudzakkar wa al-Muannats*. Kairo: t.p.
- Khan, Muhammad Abd al-Mu'id. 1937. *Al-Asāthir al-'Arabiyat Qabla al-Islam*. Kairo: Mathba'at al-Hasanah.
- al-Mubarrid, Abu al-'Abbas Muhammad bin Yazid. 1994. *Kitāb al-Muqtadhib Juz III*. Kairo: Lajnat Ihya al-Turats al-'Arabi.
- al-Sa'rani, Mahmud. t.t. *'Ilm al-Lughat: Muqaddimat li al-Qari' al-'Arabi*. Beirut: Dār al-Nahdhat al-'Arabiyah.
- as-Sayuthi. t.t. *Al-Asbah wa al-Nazhair Juz II*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.
- Sibawayh. 1998. *Al-Kitab: Kitab Sibawayih Juz I dan IV*. Kairo: Maktabah al-Khanji.
- Thalafihah, Amjad. dan Abd al-Hamid al-Aqthasy. 2014. "Mabādi' al-'Arabiyah fī Ta'nīts al-Asma' wa Tazkīrihā: Nazhrah fī Shu'ūbāt al-Ta'allum", *Majallah al-Adab wa al-'Ulum al-Insaniyah*, Jāmi'ah al-Sulthan Qabus.
- Ya'qub, Emil Badi'. 1994. "*Al-Mu'jam al-Mufashshal fī al-Mudzakkar wa al-Muannats*". Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah.